المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	كامل الشيبى: التصوف فى مدرسة بغداد المعاصرة
المصدر:	أوراق فلسفية
الناشر:	أحمد عبدالحليم عطية
المؤلف الرئيسي:	الراوي، عبدالستار
المجلد/العدد:	ع48
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	293 - 320
رقم MD:	872244
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الشيبى، كامل، التصوف الإسلامى، الفلسفة، الدين والفلسفة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/872244

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الراوي، عبدالستار. (2016). كامل الشيبى: التصوف فى مدرسة بغداد المعاصرة. أوراق فلسفية، ع48، 293 - 320. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/872244

إسلوب MLA

الراوي، عبدالستار. "كامل الشيبى: التصوف فى مدرسة بغداد المعاصرة."أوراق فلسفيةع48 (2016): 293 - 320. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/872244

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

كامل الشيبي
التصوف في مدرسة بغداد المعاصرة

عبد الستار الراوي(*)

أحد اهم الباحثين في شؤون الحكمة وقضاياها، وما جاورها من شخصيات وآداب وفنون. توزعت حياته العلمية بين اهتمامين أساسيين. فمن جانب، كانت هناك الدراسات الفكرية والفلسفية التي كان حريصاً على ان يبحث ويكتب في ما لم يكتب فيه من قبل، فجاءت اكثرمن دراسة له في هذا المجال، وفي الذروة منها كتابه «الصلة بين التصوّف والتشيّع. "أما اهتمامه الآخر فانصب على النفيس والفريد والطريف من المتون الاصيلة والبحوث المبتكرة والدراسات الجادة، في الفنون والآداب واللغة والموسيقى والشعر والادب الشعبي. ومن هنا فإن منجزه العلمي يشكل بألوانه المعرفية والثقافية دائرة موسوعية متفردة في بابها وفي تنوع مضامينها؛ تنفتح على ضرورب شتى الثقافات والافكار"[(1)].

من بينات شخصية الشيبي الحضور الدافئ، حصافة الفكر، الابتسامة العذبة، الحميمية الإنسانية، حيوية الحركة، الافق الوسيع، حرية الفكر، رحابة الصدر، قاعدة معلومات منظمة؛ وهومنشغل جاد بالدرس شديد الحماس لمادته، لا يتوقف للحظة واحدة لالتقاط أنفاسه، فكلامه متدفق متصل المعاني، غني الدلات، ليس ثمة من نقطة يتوقف عندها أو فاصل ينقطع فيه الحديث: وهو أيضاً وبالحماسة نفسها؛ دائم الاهتمام بمصادر الدراسة ومراجع الموضوعات، متوقد الذهن سريع الخاطر في إجابته عن الاسئلة والاستيضاحات، قادرا وعلى الفور إستظهار الشواهد والنصوص، وذكر المصادر بالاسماء والطبعات وارقام الصفحات؛ وقد كان من عادته في أول محاضرة وفي أول لقاء، أن يدون على اللوحة سعتها وامتدادها المصادر والمراجع قديمها وحديثها، تختلط في حديثه المرسل اللغة الفصحى بالعامية المتداولة، رصيده عقل متقد

وذاكرة منظمة.. كان علينا أن نتابع حديثه العجول لكننا أخفقنا في التقاط الكثير من كلماته المتدفقة ووجدنا صعوبة في محاولة تفكيك بعض العبارات المدغمة، إلا أننا بدأنا نكيف أسماعنا، فى ملاحقة واستيعاب إيقاعاته السريعة[2].

يصفه زملاؤه وتلاميذه بالعالم الثبت، وبالمفكر المدقق، وهو لدى أهل العرفان فيلسوف من طراز خاص، ويعد في نظر النقاد من أدق الذين كتبوا في التصوف وكأنه شخصيا عاش تجربته الروحية، لذلك أنشأ كتبه ومباحث من داخل التصوف وليس من خارجه، متمثلا مواجيده متنقلا على طريقته مابين الاحوال والمقامات، وبهذه الروح أعاد الصور الخفية لاعلامه الكبار الحلاج، السهروردي، الجنيد البغدادي، معروف الكرخي، إبراهيم بن أدهم، أبي بكر الشبلي، ابن عربي[3].

فاق عدد مؤلفاته وابحاثه سني عمره، وترجمت نصوصه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية، واهتمت بكتاباته مراكز البحوث المتخصصة والمؤسسات الاكاديمية داخل وخارج العراق والوطن العربي، واعدت الرسائل العلمية عن فكره وانجازاته في التصوف ومدار سه وطرقه وفي الفلسفة وعلومها وفي الشعر وفنونه، وفي الادب الشعبي وأغراضه[4].

ولد كامل مصطفى محمد حسين الشيبي، في الكاظمية يوم 17 من نيسان 1927 وفي هذه المدينة أكمل تعليمه الابتدائي ودرس الثانوية في مدينة الاعظمية وتخرج عام 1945، ينحدر من أسرة مثقفة توقر العلم تعود جذورها إلى الجزيرة العربية، حيث جاءت من مكة برفقة جيش السلطان العثماني سليمان القانوني، فاتح العراق عام 1535م

فبعد إنهاء الدراسة الثانوية عام 1945 م التحق تلميذا بدار المعلمين العالية[5]، ولم تكد تمضي فترة من دراسته، حتى حاز على بعثة دراسية إلى مصر، فالتحق في العام 1946 بآداب جامعة الاسكندرية.

ويستذكر الشيبي لحظة أختياره دراسة الفلسفة في مرحلة الليسانس فيقول: "حتى الأربعينات من القرن الماضي، لم نكن في بلادنا نعلم شيئًا عن الفلسفة أو معناها أو فروعها أو أهدافها. فلما نلتُ بعثةً في اللغة العربية إلى مصر والتحقت بكلِّية الآداب في الإسكندرية، وجدت أن الدراسة في السنة الأولى منها كانت تتبعث من اختيار الطالب للمواد التي يحب دراستها؛ وفوجئت بوجود مادتَي الفلسفة والاجتماع ضمن المواد الثلاث والعشرين التي يختار منها الطالبُ لدراسته. وجعلت أتساءل وأستشير، فنُصِحَ لي أن أجرب دراسة هاتين المادتين ضمن المواد المطلوبة[6].

كان دائم الذكر لاساتذته ومعلميه؛ محمد ثابت الفندي وعلي سامي النشار وابو العلا عفيفي الذين كان لهم الفضلُ الأكبر في إحياء العهد الزاهر لمدرسة الإسكندريّة الفلسفيّة، : ويقول بأنه شغف حبا بالتجربة الروحيّة لأستاذه عفيفي وهو يلقي محاضراته، مؤيّدًا لها مُعجبًا بها وناطقًا باسم الصوفية شارحًا لمواقفهم في دقّة وعنايةٍ حتّى لتكاد تحسّ من فرط إخلاصه في العرض بأنّه واحدٌ منهم عاشقٌ لمواجدهم، متلهّفٌ على آثارهم، لما تنطوي جوانب نفسه على قبسات أو نفحات من فيض أنوارهم.،

وكان من حسن حظِّه كما يقول : أن الأساتذة الذين كانوا يدرِّسونها كانوا من فطاحل العلماء، كالأستاذ الكبير يوسف كرم، والدكتور توفيق الطويل، والدكتور ثابت الفندي، والدكتور سيد أحمد البدوي. فشعرت بالسعادة الغامرة بالتلقِّي عنهم، فقررت أن أستمر في متابعة هاتين المادتين. وكان هذا أول عهدي بالفلسفة – وقد لازمتُه حتى الساعة. أما الفلسفة الإسلامية، فقد جاءت في مرحلة ثانية بعد التعلق بعمومية الفلسفة.

أما عن اهتمامه بالفلسفة الإسلامية فقد بدأ كما يروي بعد دراسته لها في السنة الثانية على يد الدكتور علي سامي النشار، الذي صار صديقه الحميم فيما بعد. وكان قد تلقى منه علم الكلام الذي يدرس الركائز المنطقية والفلسفية للأسُس العقلية في الفكر

الإسلامي. ويُعَد علم الكلام بمثابة الأساس الراسخ في الفلسفة الإسلامية. وكان مبعثَ دهشة وشوق إلى الولوج العميق إلى ماهية الدين الإسلامي، كظاهرة عقلية ومنطقية نتج عنها ظهورُ الفِرَق الكلامية المشهورة، ومن أعظمها الاعتزال[7].

استغرق إعداد الرسالة، خمس سنوات (1953 ـ 1958)؛ وحملت عنوان "الصلة بين التصوف والتشيع" بإشراف أبو العلا عفيفي وكانت لجنة المناقشة تضم إلى جوار المشرف عفيفي الأستاذ محمود الخضيري والأستاذ الدكتور عليّ سامي النشار، فنال الشيبي درجة الماجستير في الآداب بدرجة جيّد جدّاً، في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بكلّية الآداب بجامعة الإسكندرية. أغسطس سنة ١٩٥٨.

تعلم من الدكتور علي سامي النشار (1917-1980) معنى التأسيس الفلسفي الخلاق، والفرادة في الافكار، وكان كتابه مناهج البحث عند مفكري الاسلام يعد في رأي الشيبي كشفا علميا أعاد الإعتبار لمنطق البحث في الفكر الاسلامي؛ فقد "قلب النص الجديد الفكرة القائلة بأن المسلمين يعدون المنطق الأرسطي قانون العقل الذي لا يُردُّ، والمنهج العلميَّ الثابت، وقد تمكن النشار بعقله النقدي وبفكره الجوال من دحض هذه الدعوى وبطلانها، فالمفكرون المسلمون لم يقبَلوا المنطق الصوري؛ ليس لأنه يقوم على المنهج القياسي فقط، بل لانهم لم يكونوا بحاجة إليه قط، فقد كان لمفكري الاسلام الريادة في وضع منطق يعبر عن واقعهم الحضاري، وهو المنهج الاستقرائي أو التجريبي بجميع عناصره، ولقد كانت إسبانيا هي المعبَر الذي انتقل خلاله العلم الإسلامي إلى أوربا؛ فالمسلمون إذًا هُم مصدر هذه الحضارة الأوربية القائمة على المنهج التجريبي.

المرحلة الثالثة (1967 ـ 1968) امضى الشيبي عاما دراسيا بصفة أستاذ زائر في قسم الفلسفة بأداب الاسكندرية، وكان الاستاذ الدكتور علي سامي النشار رئيس القسم آنذاك . وقد القى خلال تلك الفترة سلسلة من المحاضرات المفتوحة في التصوف

الاسلامي، وفق رؤية أقرب ماتكون إلى التجربة الذاتية، فقدم عرضا شبيها بالبانورما لتجارب الحلاج والسهروردي القتيل والشيخ الاكبر، كانت في مجملها مادة حيوية لاثارة الاسئلة بين اساتذة قسم الفلسفة وطلبة الدراسات العليا .

كان أحمد محمود صبحي أستاذ الفلسفة في الاسكندرية، من أشد المعجبين بفكر ومنهج الدكتور كامل الشيبي؛ وهو أول من أطلق على زميله العراقي لقب (فيلسوف) كما ورد في كتابه "نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية"، وعد كتابيْ؛ "الصلة بين التصوف والتشيع"، و"الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر" من بين أهم النصوص الفلسفية المعاصرة، التي تمنح الشيبي الريادة (الموضوعية) في اجراء الدراسات المقارنة بين علم الكلام والتصوف الاسلامي[8].

واصل الشيبي دراسته العليا وأنجز خلال ثلاث سنوات بجامعة كيمبردج . (1958 - 1961) رسالة الدكتوراه، بعنوان "الفكر الشيعي والحركات الصوفية حتى القرن الثاني عشر الهجري" بإشراف البروفيسور المستشرق (جون آرثر آربري 1905 . 1969) رئيس قسم الدراسات الشرقية في كيمبردج . يقول الشيبي عن تجربته في العمل مع استاذه آربري: "الحقيقة انني اعتز به كل الاعتزاز واحترمه كل الاحترام، واجله كل الاجلال اذ كتب لنا ثمانية وستين كتاباً تتجاوز عمره الذي عاشه في هذه الدنيا، ومن اهم اعماله ترجمته الدقيقة للقرآن الكريم واعتبارها النص الرسمي لمن يكتب في موضوعاتنا في اللغات غير العربية.. وما ينكر ان هذه الترجمة الدقيقة قد نالها كثير من النقد حتى منعت في باكستان منذ اواخر الخمسينيات واعرف عن العلامة آربري انه انسان موضوعي الى اقصى حد مع تدين واضح لديانته المسيحية واخلاصه لها وصدوره عنها، وما يذكر للعلامة اربري انه كان شاعراً بالانكليزية وكتب عن رباعيات الخيام وترجمها ايضاً وكتب عن الوان في الشعر العربي القديم والحديث، التقليدي

وغيره. ومن هنا يستحق منا كل تقدير مع الاعتبار الموضوعي للظروف التي احاطت به)[9].

تولى الشيبي التدريس بجامعة بغداد، قسم الفلسفة منذ عام 1961 حتى إحالته على التقاعد عام 1982. نال خلالها درجة الأستاذية عام 1972، ومنحته جامعة بغداد لاحقا لقب أستاذ (كرسي الفلسفة) عام 1986. درس خلال فترة العشرين عاما في جامعة بغداد التي أمضاها، موضوعات كثيرة من أبرزها "الفكر القرآني، إتجاهات إسلامية، علم الكلام، التصوف، الفلسفة الإسلامية، الاخلاق، علم الجمال، تحقيق النصوص، الفنون الشعرية".

ومن بين أبرز اعماله:

ـــ الصلة بين التصوف والتشيع" صدر في طبعته الثالثة ببيروت سنة 1982 بجزأين: الجزء الاول العناصر الشيعية في التصوف . الجزء الثاني النزعات الصوفية في التشيع.

ـــ ديوان ابي بكر الشبلي جعفر بن يونس المشهور بدلف بن مجدر. صدرت طبعته الأولى في بغداد سنة 1967

ـــ ديوان الدوبيت في الشعر العربي" صدرت طبعته الأولى في بيروت سنة 1972

ـــ ديوان الحلاج"، بغداد 1974 و1984

ـــ شرح ديوان الحلاج"، صدرت الطبعة الأولى لجزئه الأول في بغداد سنة 1974.

ـــ الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن مطبعة المعارف بغداد سنة 1976م.

ـــ ديوان "الكان وكان" في الشعر الشعبي العربي صدرت الطبعة الأولى في بغداد سنة 1987.

ـــ الحب العذري" صدرت للكتاب طبعتان في الاولى بيروت 1997 في حين وردت الطبعة الثانية بلا تاريخ

ـــ ديوان فن القوما" في الشعر الشعبي العربي القديم وصدرت طبعته الأولى في بغداد 2000.

ـــ صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامية سنة 1997، بيروت.

ـــ البهلول بن عمرو الكوفي، رائد عقلاء المجانين"، بغداد 2004.

ـــ ديوان السهروردي المقتول"، بغداد، سنة 2005.

ـــ اصداء وملامح عربية وإسلامية في رواية دون كيخوته، بغداد 2002.

برفقة المفكر العراقي الدكتور محسن مهدى امضى الشيبي عاما كاملا في هارفرد بصفة استاذ زميل، قدم خلالها العديد من المحاضرات تناول فيها الفكر الصوفي ومراحل تطوره وانكفائه، وعرض لاهم اعلام التصوف، الحلاج والسهروردي والبسطامي وابن عربي ومعروف الكرخي. وعمل أيضا أوائل سبعينيات القرن العشرين في الجامعة الليبية (الفاتح). فعمل سنة واحدة بجامعة الفاتح بعدها تحول إلى قسم الفلسفة بجامعة السابع من ابريل في الزاوية، وقد عهدت إليه الجامعة رئاسة قسم الفلسفة طيلة الفترة التي عمل فيها بجامعة السابع من ابريل[10].

وفي ليبيا نشر الابحاث التالية:

1 ـ العناصر الاربعة في الاديان والفلسفة القديمة والقرآن، مجلة كلية التربية، طرابلس، العدد العشرون، 1994.

2 ـ الحلاج في الادب المقارن، مجلة كلية التربية ـ جامعة الفاتح ـ طرابلس العدد 21، 1996.

2ـ بين التفسير والفلسفة، 1993.

3 ـ قاموس الدواهي في اللغة العربية (لغة وفلسفة).

4 ــ العناصر المسيحية في التصوف الاسلامي.

لم يك ثمة من شيئ يستأثر باهتمام أستاذنا كامل الشيبي، قدر عنايته بانشغالاته العلمية، كان عقله مكتظا على الدوام بمشاريع جديدة، وتراه في مكتبته المنزلية العامرة منكبا إما قارئا أو كاتبا، وهو يواصل من حين لآخر، وضع خطط للبحوث التالية، ويكون قد أنهى الخطوات الاولية بوضع هيكلية تفصيلية لكل بحث، وهيأ المصادر اللازمة، ولااظن انني ابالغ إذا قلت بأن استاذنا الشيبي ترك من المخطوطات المنجزة ضعف مانشره من كتب ودراسات.

1ـ البقية من تاريخ الصوفية للسلمي، إذ تنقصه المقدمة فقط، وهو في الاصل كتاب ضائع فيه ترجمة نحو خمسمئة صوفي، التقطت منهم تراجم نحو مئة وثمانين، وهو منسوخ بالآلة الكاتبة، ومودع عند أخي في عمان .

2 ــ إتمام تتمة صوان الحكمة لمجهول، وعندي نسخة ويحتاج إلى استكمال للتعريف بأعلامه فقط.

3 ــ تفسير الحلاج؛ وهو مجموع ملتقطات من آراء الحلاج التفسيرية (آية آية) وقد التقطته من حقائق التفسير للسلمي وغيره، ويصلح أن يكون مادة لفكر جديد في نظرة الصوفية إلى القرآن الكريم.

الدرس الفلسفي في العراق

لا احد من المهتمين بالشأن الفلسفي في العراق، تابع قضية الفلسفة وعني بها بالكيف والقدر مثلما فعل الدكتور كامل مصطفى الشيبي، فقد كتب ونشر عن هموم الدرس الفلسفي في العراق اكثر من بحث والعديد من المقالات تناول فيها نواحي القصور والاهمال لهذه المادة الاساسية، ورد حجة القائلين بأن هذا الضرب من الدراسات النظرية يعد ترفا فكريا لا فائدة منه، وناقش شبهات المحافظين الذين لا يرون في تعلم المنطق وعلوم الحكمة خيرا لا لدارسها ولا للمجتمع . وبعد أن قضى بتهافت

هذه الذرائع والاضاليل، أعد مذكرة تناولت جوانب القضية كافة؛ بدء من هموم القسم في جامعة بغداد، ومرورا بمعاناة خريجيه الذين اوصدت دون تعيينهم الابواب منذ أن دورة التخرج الاولى عام 1953 ولرفع مستوى الفلسفة في العراق وإعادة الإعتبار للمركز الاكاديمي الذي تستحقه، يتعين معالجة الاسباب التي تجعل من هذا التخصص (العلمي) بائرا ومنبوذا لاسيما من جهة المؤسسات الرسمية[11].

كان كامل الشيبي أول صوت أكاديمي تبنى قضية الدفاع عن الفلسفة وعن ضرورة تطوير واقعها في العراق، في حملة تنويرية هي الاولى من نوعها، بدأها في خريف عام 1963 واستمر في متابعتها على مدى السنوات التالية، نبه من خلالها المؤسسات المعنية الاكاديمية والتربوية إلى ضرورة توقير منزلة هذا العلم والعناية به وضرورة جعل الفلسفة تخرج إلى كل العقول، بادراجها كمادة دراسية اساسية في مناهج التعليم الثانوي، وقد نشر رسالة مفتوحة إلى وزير التربية، ومثلها الى رئيس جامعة بغداد، وثالثة إلى الرأي العام، وبادر عبر سلسلة من كتاباته بعنوان (الدرس الفلسفي في العراق) أن يثير إهتمام اصحاب القرار، وقد أورد العلل والاسباب التي تؤكد كلها على أهمية الفلسفة في حياتنا، بوصفها دعوة إلى إعمال العقل والتدبر، والحث على التفكير الخلاق، ونشر الثقافة الرصينة، ودعم الابداع.

وقد تمكنت حملة الشيبي ـ ولو بعد حين ـ من أن تحقق جزءا من مراميها؛ بإستحداث أقسام للفلسفة في جامعات المستنصرية والموصل والبصرة والكوفة، لكن الدرس الفلسفي لم يؤت أكله إلا بعد ثلاثين عاما، عندما كلفت مديرية المناهج في وزارة التربية عام 1993، الدكتور حسام الالوسي والاستاذة فاتنة حمدي والدكتور على الجابري والدكتور قيس النوري، بإعداد مادة الفلسفة والاجتماع في التعليم الثانوي وبعد إتمام الكتاب كلفت وزارة التربية كاتب السطور بمراجعة وتقييم الكتاب[12].

وارى من باب التوثيق الاصولي أن بيت الحكمة في بغداد، أصدر كتابا تذكاريا عن الدكتور الشيبي إحتفاء بذكرى رحيله الاولى وتقديرا وعرفانا لدور الراحل في إثراء الفكر الفلسفي في العراق، وما بذله من جهود في تقدم العراق[13].

ثانيا . طريقته التدريسية

اتبع الشيبي في كتاباته وطريقته في الدرس مناهج متنوعة، طبقا لماهية مادة الدراسة فقد استخدم المنهج التاريخي النقدي في تحقيق النصوص،تبدى في موضوع عقد الصلة بين التصوف والتشيع، واقترب من من قواعد ديكارت الاربع، في حل اشكالية الابستمولوجيا الصوفية وفي تفكيك اللغة الاشارية التي حفل بها المعجم الصوفي؛ وبإمكان القارئ أن يجري إختبارا تطبيقيا على إشكالية (اشتقاق كلمة صوفي)[14] وسيجد بأن الشيبي في تعرضه لاصل اللفظة؛ بدأ بالمشهورات أو الشك؛ فلا ينبغي أن نقبل من الافكار الاماييدو بديهيا، واضحا ومتميزا في الذهن وأن نشك في كل الأحكام والأفكار غير البديهية. ومايلي هذه القاعدة من التحليل أو التفكيك إلى ابسط عناصرها حتى يسهل حل المسألة ككل، ثم البدء بأبسط العناصر إلى أصعبها وبشكل مرتب لحل المسألة على أحسن وجه. ويختمها بالقاعدة الرابعة وهي وجوب القيام بمراجعات وإحصاءات شاملة للتأكد من أنه لم يغفل أي شيء[15].

واعتمد المنهج التجريبي الاختباري الذي يدعى أيضا بـ«المنهج الاسترادادي». واشتغل عليه بوصفه طريقة بعدية لاختبار أي موضوع (قبْلي) فاجرى الشيبي في ضوء هذا المنهج فحص ومراجعة ونقد النصوص وتدقيق مصادر الاسناد وسلامة الوثيقة، والتأكد من مصداقية النقلة، والكشف عن التصحيف والإنتحال، وقد طبق أستاذنا هذا المنهج العلمي في إعادة بناء الاصول للتصوف واتشيع وكذلك الطريقة الصفوية وامتدادها في العراق المعاصر واستخدم المنهج نفسه وفي تخريج الاقوال والاشعار . والتجريبية تعني في ما تعنيه أيضاً أن جميع أنواع المعرفة مستقاة من

الخبرة. وهي تختلف عملياً عن الفلسفة العقلية التي تعتمد على المدركات القبلية غير المستمدة من الخبرة.

وثمة منهج آخر يشير اليه الدكتور حسن مجيد العبيدي[16]، يطلق عليه (المنهج اللغوي التاريخي)، وطبيعة هذا المنهج يقوم على متابعة اللفظ أو المفهوم الفلسفي أو الصوفي أو الكلامي من خلال جذره اللغوي وكيف نشأ ونما في الحضارة الإنسانية وكيففية وصوله، إلينا بهذه الصيغة التي استقر عليها حتى سلمنا بذلك تداولاً له واتفقنا على دلالته فيما بيننا، وقد طبق الشيبي هذا المنهج على مصطلح "وحدة الوجود Pantheism"، الذي اقترن بالفيلسوف الصوفي محي الدين بن عربي (ت.638هـ/ 1240م)، فكان الشيبي لا يقبل بهذا القول دون تمحيص ونقد، فتابع اللفظ عبر دلالته اللغوية والاصطلاحية وكيف نشأ في الحضارات الإنسانية الكبرى حتى وصل إلى ما وصل إليه عند ابن عربي ثم كيف تطور من بعده إلى يومنا هذا، فقام بدراسة معمقة له منذ البابليين والسومريين والمصريين القدامى مروراً بالهنود والفرس فاليونان بحث عنه في نصوص الديانات السماوية الكبرى، ليقول في آخر الفصل أن هذا المفهوم يجب أن يدرس هكذا مع نصوصه وبالإمكان تطبيق هذا المنهج على أي مفهوم فلسفي أم فكري.

والثابت لدى غالبية تلاميذ الشيبي عبر الدورات الفلسفية المتعاقبة، هو أن الشيبي كان قد أحدث متغيرا هائلا في آلية (الدرس) بنقله من الاساليب التلقينية الجافة، إلى المستوى الإشكالي، القائم على ثلاثية النقد والسؤال والتعليل، وقد منح الطالب فرصة التدرب على التفلسف وعلى فن صياغة السؤال الفلسفي، إذ كان يحث تلاميذه على التفاعل مع القضية المثارة، للمشاركة الايجابية وابداء الرأي بكل حرية، ثقة منه أن التلميذ لابد أن يكون طرفا مشاركا في صنع المعرفة؛ وان يكون يكون له حضورا فاعلا.

ويحظى البحث لدى الإستاذ الشيبي بالاولوية، بدء من اختيار العنوان الى جمع وتنظيم المادة وانتهاء بالنتائج كل هذه الخطوات التفصيلية كانت تمثل دورة تدريبية متكاملة وقد أولى البحث العلمي أهمية إستثنائية لإعداد وتدريب الطلبة على إختيار منهج البحث المناسب، وفقا لطبيعة الموضوع، وطريقة إستخدام المصادر وكيفية التعامل مع النصوص ووضعها ضمن الإطار الصحيح في عملية فهم الدرس الفلسفي،إضافة إلى ذلك تقويمه شكلاً بتبيان مدى تماسكه وعدم التناقض فيه وتحديد مكانته بالنسبة لنصوص أخرى كتبت حول الموضوع المدروس نفسه، فيصبح الطالب مؤهلا مع كتابة هذا البحث من إتخاذ الموقف من النص وبالتالي من القضية الفلسفية المطروحة.

الفلسفة في العصر الرقمي:

في قياس الهوة الفاصلة بين التقدم العلمي والحضاري في الغرب ومايعانيه المجتمع العربي من ضروب الجهل والفقر والتخلف؛ فيشير الشيبي إلى حال الفلسفة بألوانها النسقية ومدارسها، والتطور الذي طرأ على المناهج والافكار، عبر فضاء الحرية المشرع أمام الاجتهادات المستمرة وفقا لحركة التقدم التقني.

ومن هنا فإن أهمية الفلسفة لدى الشيبي تكمن في قدرتها على التعبير عن المجتمع نفسه، فمركزها الحياة ذاتها، تنشغل بالانسان، في وجوده القائم في عالم النقائض والاضداد، ومن هنا فإن أول مهام الفلسفة في رأيه أن تنزل بجدلياتها إلى الواقع، لتبدأ بالسؤال الانطولوجي الـ(ماذا) مما هو موجود وكائن ومتعين، طبقا لمبدأ السببية الإنسانية، الذي ينأى عن تبرير (الوجود) لصالح الميتافيزيقا، وان تسعى للكشف عن الأشياء الأساسيةفي حياة الإنسان وفيما يحيط به في أرضِهِ وكوْنِهِ. أنها تتلخص في الجواب على السؤال: "لماذا؟" – أي ملاحظة المبادئ ومحاولة تعليلها. وقد قسَّمَ

القدماءُ مباحثَها إلى الوجود وما وراء الوجود، والعلم وكيفية التعلم، والمنطق وفلسفة العلوم، وما إلى ذلك من موضوعات تبحث عن التواصل بين المعارف المختلفة.

ويضع الشيبي الحرية الفكرية شرطا للتفلسف، وهو الشرط الغائب في المجتمع العربي لأن الفلسفة تتطلب تعمُّقا ومتابعة وممارسة مبالَغ فيها للحرية الفكرية؛ وهو أمر يتعذر وجوده في مجتمعنا العربي في عصرنا الراهن على الاقل. فيما يبقى الاهتمام بالفلسفة عند العرب منحصرًا للاسف فيدراستها وتدريسها من كتاب إلى آخر، دون أن تدخل في أعماق الإنسان العربي.

وإذا كانت حرية الفكر شرط التفلسف، وبغيابها تنعدم الارادة الانسانية نفيا واثباتا؛ ولن يكون بوسعها تحقيق فعل التفلسف أو تنجز ماتعتد به، والامر الآخر الذي يفسد الفلسفة العربية وتاريخها، وفق رأي أستاذنا الشيبي، هو الايديولوجيا، يقول (قبل كلِّ شيء، أن نعترف بأن "الفلسفة العربية" مصطلح ناقص في التعبير عن حقيقتها، لأن الأساس فيها الإسلام والمسلمون. وإذا دخلت ـ فكرة القومية ـ فيها فإنها تنقلب رأسًا على عقب، لأنه عندئذٍ ينبغي أن يُنطلَق فيها من منطلق جديد يبتعد عن منابعها الأساسية. فلهذه الفكرة رجالُها المعاصرون – ولست منهم؛ كما أني لست من أصحاب المنطلق الديني البحت.

التصوف الإسلامي

التفلسف والتصوف عبر مساهماته الفكرية المعمقة للبحث الصوفي على المستوى الاكاديمي وعلى مستوى الدرس الصوفي الجامعي وهذه نافلة له سبق الفضل في توكيدها وارساء ملامحها حتى عد معلماً فكرياً هاما ومرحلة بدء وتاسيس في تطور الدرس الصوفي الاكاديمي، وخط حضوره المشهود في ريادة الفكر الصوفي عراقياً وعربياً فريادته العراقية تتأتى من توطيد وتوجيه مساهماته الفكرية سير الدراسات الصوفية جامعياً وبحثياً حتى وسمت مؤلفاته بالدراسات الاكاديمية الجادة والمتحررة من

نظرات التعصب والانغلاق والجمود الفكري ليخط في الوقت نفسه ريادة فكرية اصيلة بكونها مواجيد صوفي اشارت الى وجوده وعبرت عن حضوره العلمي في تجربة ذاتية بين الفلسفة والتصوف[17].

التأمل في اصوله ومناهجه، والاشكال المختلفة التي اتخذها تبعا لتطور الدوله الاسلامية في المراحل المختلفة وتبدل الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والفلسفية وتفاعل الثقافة الاسلامية وتأثيرها المتبادل مع الثقافات الفارسية واليونانية والمسيحية والهندية، والتي عرفت التصوف باعتباره طريقة ومنهج ونظرية في المعرفة.

لايمكن تناول التصوف الاسلامي بمعزل عن الفكر الفلسفي الاسلامي وتطوره في مراحله المختلفة فقد كان له رموزه واعمدته البارزة في التاريخ الاسلامي امثال : الحلاج، ابن عربي، السهروردي المقتول،وغيرهم من تلك لرموز.

وقد تباينت وتنوعت المصادر التي تطرقت لتعريف التصوف، اهم تلك المصادر: مؤلفات كامل الشيبي: والشئ نفسه يتعلق بإشتقاق كلمة صوفي؛ تعددت الآراء في اصل الكلمة لهذه الكلمة ورشحت اصول كثيرة منها مايوافق صورتها من الناحية التاريخية ومنها مايخالفها، لتكون أصلا لكلمة صوفي منها : (الصفاء، الصفة، الصفوة، الصوفانة، سوفيا، صوفة القفا، الصوفة المرمية، بنو صوفة، الصوف). ويخلص الاستاذ الشيبي من دراساته الى اقتراح اعتماد تعريف : بني صوفة كمثل للتضحية الى الله من الناحية المعنوية وبسلوكهم، رغم أن ذلك جانب من مظاهر التصوف في فهم ظاهرة التصوف في ابعادها وتجلياتها المختلفة.

النزعة الروحية: في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ظهرت مقدمات وعبارات وأفكار للتصوف لدى إبراهيم بن أدهم البلْخي (ت 160 ه) ورابعة العدوية (180 ه)، ويبدو أنها أول من تكلم في (الحب الإلهي) هو شقيق البلخي (194 ه) تلميذ إبراهيم بن أدهم (وهو أول من تكلم في التصوف بخراسان)، ومعروف الكرخي (ت 200 ه)،

وأبو سليمان الداراني الشامي (ت206 هـ) وبشر الحافي (ت 227 هـ) ومن أقواله: " الجوع يصْفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق، والمتقلب في جوعه كالمتقلب في دمه في سبيل الله، وإذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم".

يفرق كامل الشيبي بين الزهد الذي جاء به الإسلام، والزهد المنظم الذي نادى به زهاد الكوفة والبصرة والشام وصار مقدمة للتصوف، فالإسلام كان من أصول الزهد الأولى؛ ذلك أن الإسلام قد جاء ليحارب الارستقراطية القرشية ويرتفع بمستوى الأجراء والفقراء بالإضافة إلى الدعوة الدينية والروحية .وقد كان صبغ الإسلام دعوته بالزهد والتقشف العلامة المميزة له عن النظام القرشي في مكة؛ والشعار الذي يلتف بمقتضاه الضعفاء والمحرومون والعبيد حول النبي ويدخلون في دين الله أفواجًا .ذلك أن الإسلام لم يكن منجمًا من الذهب ولم يكن شركة لها أموال وتجارة وإنما كان دعوة تهدف إلى إقرار مثل من العدالة والمساواة لم تكن موجودة، ولو استندت الدعوة إلى النظام السائد وأشبهتهما رأينا المستضعفين والفقراء والعبيد أنصارًا له ولكان حركة انقلابية قصد بها الاستيلاء على السلطة، ولهذا عجزت قريش عن تحطيم الإسلام المكي وكانت مقاومته محاطة بالأشواك .وقد كان الزهد الذي اصطبغ به الإسلام مانعًا لأرستقراطيي قريش من الدخول فيه وتقويضه، فقد كانت ضريبة دخول الغني في الدعوة أن يخرج عن أمواله وأن يساوي زملاءه في الفقر.

وبهذا يتبين لنا أن الزهد صورة أصيلة منصورة الإسلام وفقرة هامة في منهجه التطبيقي، أريد به نزول القادة إلى مستوى الفقراء لجمعهم وكسب عطفهم وحماسها، فاصطبغ زهد الإسلام بصفات الداخلين فيه من الفقراء والعبيد، فكان المسلمون الأولون وحتى خلفاؤهم يلبسون اللباس الخشن ويتناولون الطعام البسيط ولم يكن ذلك منهم نوعًا من العبادة الزائدة أو شيئاً مضافًا إلى الإيمان المتميز وإنما كان من طبيعة الإسلام التي دخلت نفوسهم وتقمصتها. لما جاء عبد إلى الدين الجديد.

يقرر الشيبي في المقدمات الفائتة؛ أن الإسلام هو منبع الزهد؛ الذي هو التواضع في الملبس والمشرب والمأكل والرفق في المعاملة أي التطبع بطابع الفقراء الذين كانوا يؤلفون أغلبية المسلمين. هذا هو الزهد الإسلامي الأصيل المستقل عن المؤثرات السياسية والاجتماعية والنفسية والثقافية[18].

ثمة منبع آخر للزهد لا ينضب معينه بمصادر كثيرة صبت فيه هي هذه الظروف التي تدفع المسلم الحساس دفعًا إلى الزهد في الدنيا لما يراه من ظلم محيق وطمع وخروج عن جادة العدل، ثم شاركت الثقافات ووجهت الزهد وجهة خاصة بأن أول أثر سياسي في الزهد أو أول دافع سياسي إليه نشأ بعد قتل عثمان من الخوف من الدخول في فتن لا أول لها ولا آخر تكون نتيجتها ضياع الإسلام وتسلط النوازع والاطماع الشخصية[19].

وظهر من تعلق بالزهد والتعبد وتخلى عن الدنيا وانقطع الى العبادة، وكان يسمون بأسماء مختلفة مثل (الزهاد، الفقراء، البكائون) ومنهم حذيفة بن اليمان.

أن الزهاد كانوا طبقة جديدة في الإسلام تنتظم التجار الكبار والمثرين والأمراء السابقين ومعهم، طبقة من سواد الأمة هالتها الهاوية التي فغرت فاها لتبتلع كل المثل التي نادى بها الإسلام[20].

وقد صبت كل هذه الجداول الزهدية في زهد بغداد وخدمته حتى بلغت به إلى التصوف، حيث ظهر التصوف كسلوك واضح وسمي بهذا الإسم واتبع العزلةالصوفية في الغارات والمعتزلات وظهرت الأخلاق الصوفية ومازال الإبداع قليلاً فيه، وتنافست البصرة مع الكوفة في ريادته؛ لكن البصرة تفوقت في بدايات التصوف والحب الإلهي. وقد ظهر في هذه المرحلة أوائل المتصوفة: الحسن البصري، أبو هاشم الكوفي، السري السقطي، رابعة العدوية، معروف الكرخي.

4 ـ مرحلة والمفاهيم والمصطلحات الصوفية وفي (القرن الثالث الهجري) وضحت معالم التصوف ومبادئه.حيث انتظمت فيه المفاهيم والمنطق الاصطلاحي، ومن أوائل من أصل الابستمولوجيا الصوفية؛ هو الحارث بن أسد المحاسبي (234 ﻫ) حيث فصل المعرفة الصوفية عن المعرفة العلمية والفلسفية، و[ركز على الحب الالهي] ذو النون المصري (245ﻫ) وسري السقطي (251 ﻫ) وأبو يزيد البسطامي (261 ﻫ) وأول من أدخل فكرة الفناء في الذات العلية أبو حمزة الصوفي (269 ﻫ) وأول من تكلم في المنابر على مصطلحاتهم وأبو سعيد الخراز (277 ﻫ) أول من توسع في فكرة الفناء وحمدون القصار (271 ﻫ) [أول من توسع في فكرة الفناء] وبظهور الجنيد (297 ﻫ) يتم توضيح كثير من القواعد والمصطلحات وسيبقى المرجع الأساس لمفاهيم التصوف ولمنهجه قرونا، وسيتكرس أسلوبه الرمزي لدى تلميذه الحلاج، ويأتي الترمذي الحكيم (390 ﻫ) فيشيع فكرة الاعتقاد بولاية الصوفية وكراماتهم.

بعد نصف قرن أمضاه كامل الشيبي برفقة نصوص أصحاب الطريق، يقول بأن مدركاته الحسية والعقلية يشهدان:

أن التصوف هو في الحقيقة توجه روحي مباشر إلى الخالق، بصرف النظر عن الانتماء الفقهي والتشريعي في التاريخ كله، ولهذا فإننا نجد التصوف في كل زمان وكل مكان.

يتشابه المتصوفة في عموم الكوكب الارضي ـ الهنود من بوذيين وهندوسيين والرهبان المسيحين في شتى فرقهم وكذا الرهبان الكونفو والمجوس واليهود والهنود الحمر وكل متوجه روحي في العالم كله،ولم يكن أجدادنا من العرب مستثنين من هذه القاعدة، فقد كان الحنفاء صوفية بوجه من الوجوه.

كان بنو صوفة الجاهليون المنقطعون لخدمة الكعبة وقيادة الحجاج إلى جبل عرفات والنزول منه في ختام الحج، صوفية بوجه من الوجوه، ومنهم اتخذ التصوف مصطلحه.

الأنبياء كانوا صوفية في توجههم إلى واجب الوجود يستمدون المعرفة والتوجيه والخلق منه . ويتساءل الشيبي إن لم يكن الانبياء من الصوفية كيف نفسر تحنث العظيم الأكبر محمد بن عبد الله في جبل حراء طوال خمسة عشر عاماً إلا على هذا النسق العام في التوجه المباشر إلى الله واستمداده القوة والطاقة والروح منه[21].

التصوف لب الأديان ومنطلقها ومنه تفرعت واستبانت موضوعاته من تشريع وأخلاق ومناهج مما عرفناه في شتى التوجهات الإنسانية الدينية.

التصوف وجد قبل الأديان ومنها الإسلام،وسيبقى بعدها باشكال جديدة إلى نهاية العالم.

إن الله والعالم شيء واحد وكائن واحد، وان الله لم يكن في وقت من الأوقات وحده، بل العالم يتجدد خلقه في كل لحظة، ويبقى سره وروحه فيه منذ الأزل والى الأبد، ويرون إن العالم تفرق من الله يوم حدث انقسامه إلى كتلة عليا هي السماء وكتلة سفلى هي الأرض، على شكل تعبير رمزي يعني الانفجار العظيم الذي خرج منه ثلاثة وأربعون فلكاً وكوكباً، يحيط بها الله ويسيرها ويضبط حركاتها، وان كل هذه الموجودات تحيا وتموت بأمر الله الذي يبقى فيها ويثبت، لأنه هو القائل:

أي إن العالم الكبير يشبه شجرة عظيمة وارفة، تخضر اوراقها وتنمو ثمارها ثم تسقطان، والشجرة ثابتة لا تتزحزح ولا تموت، وهذا على كل حال رأي الابيقوريين وأتباع أفلوطين الذي تبناه فيلسوفنا ابن رشد في القرن السادس الهجري وتلقاه منه ابن عربي الفيلسوف الأندلسي، ثم دان به كثير من مفكري المسلمين من أمثال ابن سبعين وعبد الغني النابلسي، ثم الأمير عبد القادر الجزائري والشاعر العراقي معروف الرصافي وكثير من مشاهير المسلمين خصوصاً من الصوفية.

ـ إن فكرة وحدة الوجود إشكاية فلسفية منذ نشأتها وتطورها... وخلاصة الفكرة إن هذا العالم الملموس المحسوس لم يكن في يوم من الأيام عدماً بل كان مادياً ولكن مادته تتشكل باشكال مختلفة بأمر الخالق ذاته ..

وأما قول ابن عربي :

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وأيماني

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي... إذا لم يكن ديني إلى دينه دان دان

فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف...وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وأيمان

وهذه الأبيات تنظر إلى قول الحلاج في وحدة التوجه إلى الله من شتى الزوايا:

تفكرت في الأديان جد محقق ....فألفيتها أصلا له شعب جما

فلا تطلبن للمرء دينا فأنه ... يصد عن الأصل الوثيق وإنما

يطالبه أصل يعبر عنده ... جميع المعالي والمعاني فيفهما

أي إن الأصل في التدين التوجه إلى الله بالنية الصادقة والإخلاص الحقيقي ولا عبرة بالشكل والقالب والتفصيلات.

يحاول الشيبي أن يضع فصلا بين سلبيات التصوف وايجابياته :الأصل في المظهر الخارجي للتصوف : الزهد الشديد في المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وقد ترجمت هذه العناصر إلى الزهد في هذه المظاهر وإلباسها لوازمها المادية من صوف مخرقة ومرقعة وما إلى ذلك، وقد بدأت هذه التقاليد في عنفوان الحركة الصوفية، ولكنها تدهورت مع تدهور الفكر الصوفي إلى الأشكال التي تشاهد في المجتمع اليوم، كالخرقة، والسبح الطوال الملفوفة حول الرقبة واللباس الرث، ذلك الوعاء الغريب الذي يحمله الذين يسيرون في الشوارع ويكثرون من الصلاة على النبي يسميهم الناس (

الدراويش) فالمسؤول عن هذه المظاهرليس الفكر الصوفي، بل جملة من المتغيرات الإجتماعية وشيوع النزعات المادية وما يرافق ذلك من تبدل في السلوك والعادات والقيم. ومع ذلك فثمة مفكرون صوفيون كبار في العالم الإسلامي اليوم لا يأبهون لهذه المظاهر الفارغة ومنهم من صار شيخاً للأزهر كأستاذ الفلسفة الشيخ عبد الحليم محمود وغيره.

وقد لاحظ الشيبي؛ ربط ماسينيون الصلة بين «المدن» وعمقها الحضاري في حديثه عن الكوفة وعراقتها الحضارية السابقة على الاسلام (البابلية) قياساً الى ماضي البصرة وثقافتها التي لا تمتلك حسب ظن ماسينيون مثل تلك الاصالة، وهو ظن غير صحيح، فبفضل الاصالة الكوفية تطور الخط الكوفي الى «فن» متميز وهندسة معمارية، وتطور الزهد الى تصوف، ومثل ذلك يقال عن الحضارة المزدهرة.

والشيبي وهو يقدم على اعادة تحقيق واخراج ديوان الحلاج يعترف لماسينيون بفضل احياء ذكر الحلاج في تاريخنا المعاصر، فيقول: "في مطلع القرن العشرين احيا ماسينيون ذكر الحلاج حين زار بغداد سنة 1907، ثم كتب عبارته «أنا الحق» بحثاً القاه في مؤتمر المستشرقين في اثينا سنة 1912، ونشر ديوانه وكتابه (الطواسين) واخباره والنصوص التي دارت حوله، وتوج ذلك كله برسالة للدكتوراه عنوانها عذاب الحلاج، فنبه الادباء والشعراء والباحثين في الشرق والغرب الى اهميته الادبية والتاريخية والفكرية. ثم ان عودة الشيبي الى مطلع القرن العشرين، وتتبع سعي ماسينيون للاحاطة بالحلاج فكرا ومنهجا، دفع به الى الاستئناس بآراء تلامذته من العراقيين (السامرائي والشواف وفاضل) للكشف عن عقيدة ماسينيون وتوجهاته الفكرية، وبخاصة ما رواه عن الاب القس العراقي دهان الموصلي المقيم في باريس.

ويقول الشيبي (سيلاحظ القراء أني لم أطفف الميزان على ماسينيون قيد شعرة ولم اغمط حقه حبة خردل، إذ أفرغت محنوى (ديوانه . الحلاج) متنا وتعليقا وشرحا في

هوامش ديواني هذا، واضفت الكثير الذي لايسعني التواضع على التقليل من كميته أو كيفيته أو أهميته، ووفقت الى مصادر لك يفطن اليها ماسينيون، وفوق هذا يميز تحقيقنا هذا اضافات إلى أشعار الحلاج لم يفطن اليها ماسينيون ونقص لما كان يظنه من شعر هذا الصوفي هدتنا اليه الكتب التي لم تصل اليها يداه، وسيلاحظ القارئ أنني عانيت كثيرا جدا في إقامة النص، وان اجتهاد ماسينيون ودأبه الشديدين واستعانته بالمتخصصين من أصدقائه لم تمكنه من بلوغ هذه الغاية . ولو لم يكن الفرق بين تحقيقه وتحقيقنا غير هذا لكفى . اما النماذج على هذه التصحيفات الكثيرة التي حفلت بها طبعات ماسينيون فاحيل القارئ على صلب العمل ليستكشفه بنفسه[22].

وقد سجل كامل مصطفى الشيبي في عام 1999 في دراسة تقويمية نقدية لاعمال ماسينيون حول الحلاج اكثر آرائه في البحث عن الحقيقة الصوفية والحقيقة الحلاجية التي عانى في سبيلها الكثير يستحثه نداء "انا الحق" ودوافعه الوجودية والعقائدية التي بسببها مات الحلاج من غير ان يصرح بالكثير من منطويات هذه المقالة الرمزية، لكنه ترك اثرا بالغا في اطار حوار الحضارات والأديان والأمم والشرق والغرب. وما زالت أقلام الباحثين تتناوله بشوق واعجاب، ولا سيما ومضاته الأدبية الواردة شعرا ونثرا. فليس هناك اعمق ولا اجمل من الشعر الصوفي او القطع النثرية الرمزية التي حفظت للأجيال واحدا من ابدع الاشكال الأدبية للغة العربية[23].

1 ــ الصلة بين التصوف والتشيع:

كانت نواة هذا الكتاب في الاصل رسالة جامعية كتبت تحت إشراف أبو العلا عفيفي، (1953 ـ 1958) لقد استغرق الفراغ من إعداد الأصل الجامعي خمس سنين؛ غير أن هذه الفترة لم تكن كافية لإحكام سبك النص، فاضطر الشيبي إلى إعادة النظر فيه بالزيادة والنقص والإجمال والتبيين واستنفد ذلك منه ثلاث سنين أخرى . وأضيفت إلى هذا فوائد كثيرة استفدتها من عمله الجامعي طوال ست سنوات .وهكذا يمكن القول بأن

أربع عشرة سنة من الجهد المتصل أنضجت البحث وعمقت موضوعاته. وكان الصلة أوّل رياضة عقلية له، وحين عزم الشيبي على نشره رجع إلى البحث مِن جديد، فأعْمَلَ فيه يد التؤدّة في تدقيقا وتهذيبا، وأضاف إليه الكثير خلال أعداده رسالة الدكتوراه في (كمبردج)، ولكنّه بقي يحمل طابعه الأوّل البارز. أهدى الشيبي كتابه إلى شيخه العقلاني وأخيه الروحاني علي سامي النشار.

لعل من بين اهم سمات هذا العمل الذي يندرج ضمن الدراسات الفلسفية المركبة هو الطابع الموضوعي بشهادة أستاذه أبو العلا عفيفي وأفصح عنه جهارًا عبر المحددات التالية:

1 ـ قام هذا العمل على أساس الإكثار من النصوص بغية جمع ما تفرق منها في مكان واحد ليتاح للباحثين تدبرها من جديد واستخلاص النتائج منها. إنْ بالنفي أو بالإثبات أو بالملاءمة ومسألة أخرى من يتعين تأكيدها .

2ـ تناول بدايات الإسلام وتطوراته على نحو موضوعي خالص لا تشوبه شائبة من عاطفة أو محاباة ولا تقية أو رياء، تاركا للحقائق وحدها أن تتمخض عن الأحكام وتؤسس للآراء.

3ـ حاول الباحث أن يلتزم الموضوعية، بعيدا عن أي تحيّز، وأن ما قد يبدو كذلك يتوجب أن يوجه إلى الاعتزاز بموضوع البحث والتعلق بتتبعه واستكناهه لا الحرص على تأييد العقيدة على نحو كلامي.

4 ـ هذا الكتاب الذي ترجم إلى الإنكليزية والتركية والفارسية أثار في العراق حال صدوره جدلا ولغطا في الأوساط العلمية بين قادح ومادح كل حسب هواه . وزعم أتباع كل هوىً أنه لا يخدم غرضهم وذلك حق؛ لأن ذلك لا يتفق مع الموضوعية التامة التي تمسك بها المؤلف في ثناياه؛ وهو أمر حرص على تأكيده الشيبي في تقديمه للطبعة الثالثة[24].

5 ـ كان كاتب السطور شاهدا على ما أحدثه كتاب الصلة لدى بعض المحافظين من رجال الدين، ففي نهاية عام 1963 وقبيل أن يباشر الدرس أخرج الشيبي وهو يبتسم ورقة وتلاها علينا وكانت تتضمن فتوى لاحد رجال الدين، يحرم بموجبها تداول الكتاب، بناء على المغالطات الواردة فيه حسب رأيه، ثم استأنف الدرس، ومايزال اتباع مدرسة اللاهوت القديمة يجناحيها يمارسون (الدور نفسه) اليوم ويلجأون إلى الذرائع نفسها[25].

والصلة بجناحيه؛ يتناول الأول: دور التشيع في القرون الثلاثة الأولى في إمداد التصوّف بسماته التفصيلية في الولاية والسمو الروحي، ويختص الثاني منهما بالتصوّف بعد نضجه واستقلاله ورده إلى التشيّع. ومن عجب أن هذه العملية المتبادلة تمتد وتضح. لقد تحققت النتائج التي دوّنها هذا الكتاب، والمشربان المذكوران سائران في خطين متوازيين كقضبان السكة الحديد، وكأن شرار كل منهما وصل إلى الآخر بفعل القاطرة التي تحركهما والطاقة التي تسيّرهما. ولئن اختفى اسم الكتاب الثاني باندماجه في الأول، لقد كان ذلك مما ييسر على القارئ تّتبع هذا التأثير المتبادل وتهيئة الأسباب لاقتنائه الكتابين الموحّدين في وقت واحد وتحت عنوان واحد.

يدور موضوع هذا الكتاب حول الصلة بين التصوف والتشيع. وليس من السهل تبين هذه الصلة بين العالمين، لأن أمورًا قد جدت على كل منهما منذ بدأ في الإسلام حتى صار مستقلاً مستغنيًا عن الآخر.

إذا كان اصحاب المذاهب الفقهية بوسع كل منهم الاستغناء عن الآخر. فإن المتصوف لا يستطيع الاستغناء عن أحد هذين الاتجاهين الإسلاميين .فلابد أن تتصل الطرق الصوفية وهي في حكم المذاهب الإسلامية من حيث تنظيمها لمجتمعها عقيدة واجتماعًا باتجاه من هذين الاتجاهين الإسلاميين.

خاتمة الاعمال

وختم حياته بآخر بحثين له في التصوف نشرهما في مجلة مقابسات البغدادية، الأول ظهر في العدد الأول من المجلة وكان بعنوان (الغلو وأشكاله في المجتمع الإنساني) أما الثاني، فقد نشره في العدد الثاني من المجلة، وكان بعنوان (الحلاج عند العرب وغيرهم)، وفي عددها الرابع بحثاً عن الشيخ عبد القادر الكيلاني. ولمن أراد المزيد عن الانجازات الفكرية والمساهمات العلمية للدكتور الشيبي فليراجع المقابلة الشخصية التي أجرتها معه مجلة الدليل البغدادية بعددها الثالث في تموز 2004[26].

ونقلت زوجته السيدة سماحة النفطجي خبرا يقول بأن أبا طريف في أيامه الأخيرة وضع مخطوط كتاب على الطاولة تحت عنوان (الموت) أوصى بطبعه بعد وفاته. وأوصى أهله بأن تفتح مكتبته العامرة بنفائس الكتب للباحثين وطلاب العلم[27].

إن من يتعامل مع الشيبي يشعر بأنه مثال للإنسان المتفتح الوافر العطاء الجواد في الإرشاد والتوجيه من غير تكبر إذ كانت الكياسة والتواضع من أبرز خصاله ، فهكذا كان الفقيد مع زملائه وطلابه.

وكما كان الشيبي مبدعا بصنعة التأليف كان أيضا من المبدعين بصنعة التعليم الجامعي بشقيه الأولي والدراسات العليا ، وبهذه المناسبة أذكر واقعة حدثت عام 1999، فقد كانت مادة التصوف مسندة إليه في الدراسات العليا منذ بضع سنوات، ففي ذلك العام عاد دكتور ليبي شاب بعد أن حصل على الدكتوراه في التصوف من بلد عربي مجاور لبلده وأصر على تدريس تلك المادة بدلا من الشيبي دون أن يعرف قدره ، وهذا مؤشر واضح بأن الدكتور اليافع أشبه برجل يدعي أنه من أهل سامراء ولا يعرف المأذنة الملوية ، هكذا كان واقع الحال لأن من يذكر مادة التصوف في الأوساط الأكاديمية على مستوى الوطن العربي لا يمكن أن يتجاوز الدكتور كامل مصطفى الشيبي إطلاقا.

إن تصرف الدكتور الشاب جعل أساتذة القسم بموقف محرج وأصابني شخصيا إحراج مضاعف بسبب موقعي كرئيس للقسم لكن شيخنا الشيبي بدد إحراجنا جميعا عندما تنازل عن تدريس تلك المادة بكل رحابة وطيب خاطر.

ورغم موقف الشيبي إلا أن هذا لا يعني أن القسم لا يستغل وجود عالم من هذا الطراز للاستفادة منه في الدراسات العليا فأسندت له مادة غير أساسية (دراسات مستقلة) ولكن إسناد هذه المادة غير الأساسية للشيبي سجلت حدثا لا يمكن نسيانه إذ انتهت السنة الدراسية وكانت المفاجأة حيث هرع طلاب الدراسات العليا من الأقسام الأخرى (غير قسم الفلسفة) بتصوير المادة التي ألقاها الشيبي على طلبته. وانتقلت عدوى التصوير إلى الأساتذة وكاتب هذه السطور واحد منهم ، لأنهم وجدوا فيها زادا علميا دسما. وذلك لغزارة المعلومات وموسوعية فكر المحاضر.

إن مفردات المادة غير الأساسية (دراسات مستقلة) جعلها الشيبي تتضمن تحقيق المخطوطات، وتعليم حساب التاريخ الشعري (كيف يكتب التاريخ بكلمات الشعر) وهذا يتطلب تعليم الطلاب ما يقابل حروف العربية بالأرقام، وتضمنت المحاضرات أيضا العلامات والرموز لدى الكتاب العرب قديما وحديثا، وجداول بعلامات التنقيط والترقيم الروماني وحروف الأبجدة والأبتثة (حروف الجمل) والمصطلحات الفلسفية واليونانية والإنكليزية واشتقاق العربية من الآرامية ومقارنة بين الحروف العربية والحروف السبئية مع تعليم الطلاب كتابة أسمائهم واسم جامعتهم بتلك الحروف ، وترتيب الحروف في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وأصول كتابة الجمل الاعتراضية وغيرها من المواضيع التي يشتاق لها كل كاتب أو باحث[28].

الهوامش:

[1] ماجد السامرائي . لباحث المحقق رحل في بغداد عن 79 سنة. كامل مصطفى الشيبي عاشق "المهمشين" في التراث العربي . جريدة الحياة (13/9/ 2006) .

[2] عبد الستار الراوي . كامل الشيبي بين مقامات الحب والهوى . قصر الرواد . بغداد 1996

[3] الراوي . كامل الشيبي . مصدر سابق .

[4] الدكتور كامل مصطفى الشيبي . شرح ديوان الحلاج . ط ص 19 . 20

[5] رفعت مرهون الصفار،مقال اعلام يتذكرون، مجلة الدليل، بغداد عدد3، السنة الاولى،2004 م

والدكتور رحيم الساعدي ـ "نظرة الى فكر كامل مصطفى الشيبي . ندوةإحياء التراث الفلسفي العراقي المعاصر" . بيت الحكمة . بغداد (2015/5/19)

والراوي . مصدر سابق .

[6] أموري الرماحي . لقاء مع الدكتور كامل مصطفى الشيبي . جريدة السفير اللبنانية (2003/7/30)،

[7] الدكتور قيس كاظم الجنابي . حوار مع الدكتور : كامل مصطفى الشيبي أموري والرماحي . مصدر سابق

[8] الدكتور أحمد محمود صبحي . (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية)، دار المعارف . الفاهرة 1969 ص 23

[9] الدكتور قيس كاظم الجنابي . حوار مع الدكتور : كامل مصطفى الشيبي

[10] الدكتور جعفر عبد المهدي صاحب . الحوار المتمدن ـ العدد 2637 ـ 3007/5/5

[11] الدكتور كامل الشيبي (الدرس الفلسفي في جامعة بغداد) جريدة الجمهورية . بغداد 3 /1963/11

[12] كتاب الفلسفه والاجتماع: تأليف حسام الالوسي وعلي الجابري وقيس النوري. مديرية المناهج والكتب وزاره التربية (1993).

[13] مجموعة باحثين الدكتور كامل مصطفى الشيبي- سياحات فكرية في ريادته الصوفية- بيت الحكمة- بغداد، 2008.

[14] كامل الشيبى (رأى فى اشتقاق كلمة صوفى) "مجلة كلية الآداب العراقية/ العدد 5/ نيسان ـ أبريل 1963م ص 232 والصلة بين التصوُّف والتشيُّع . دار الأندلس، بيروت، ط (3)، 1982، ص (32 . 65)

[15] راجع رينيه ديكارت . مقال في المنهج . ترجمة محمود الخضيري . دار الكاتب العربي . القاهرة . الطبعة الثانية . ص 130، 136

[16] الدكتور حسن مجيد العبيدي . الشيبي قرين التصوّف وصديق الحلاج (2014/5/21).

[17] الدكتور صالح مهدي الهاشم (هذا هو الشيبي) ـ حوار . جريدة المدى العراقية . العدد : الأربعاء 09-02- 2011 والدكتورة علياء محمد: وثائق المفكر العراقي الراحل الدكتور كامل مصطفى الشيبي، جريدة الجريدة (د. ت).

[18] الصلة بين التصوف والتشيع، ص 375- 376.

[19] الصلة، مصدر سابق، ص 377- 380.

[20] الصلة، مصدر سابق، 369- 370.

[21] الدكتور صالح مهدي الهاشم (هذا هو الشيبي) . مصدر سابق

[22] جهاد فاضل . مأساة الحلاّج بين ماسينيون والباحثين البغداديين القبس . تاريخ النشر 2009/04/21.

[23] الشيبي، شرح ديوان الحلاج، ص 16، 17.

[24] الصلة . انظر مقمة الطبعة الثالثة . ص11.

[25] من بين الكتابات النقدية، راجع- السيد توفيق الفكيكي بعنوان: مع الدكتور كامل مصطفى الشيبي، مؤلف كتاب الصلة بين التصوف والتشيع، أما نحن فلا نشك أبدا فيما روض به عقله من الجمع والبحث والدراسة الطويلة الشاقة، التي عكف عليها مدة خمسة أعوام قضاها في سبيل تأليف رسالته الجامعية، الجامعة لكثير من الآراء الخاطئة. وكنا نود لو أن حضرته قد زاد على السنوات الخمس أياما معدودات- وانظر عبد الرحمن عبد الخالق الشيخ في كتابه (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة) الباب الخامس (الصلة بين التصوف والتشيع).

[26] الصلة، مصدر سابق، ص 394.

[27] الدكتور حسن مجيد العبيدي . الشيبي قرين التصوّف وصديق الحلاج (2014/5/21)

[28] الدكتور جعفر عبد المهدي صاحب . الحوار المتمدن ـ العدد 2637 ـ 3007/5/5 [48] الدكتور جعفر عبد المهدي صاحب . الحوار المتمدن ـ العدد 2637 ـ 3007/5/5